

## الفصل الخامس عشر

### [ دماء ]

بعد بحث طويل وغير مثمر عن موقع آخر يمكننا الصعود عبره لأعلى الجرف دون أي تعب على الحارس، عدت إلى موقعي السابق والسماء قد أظلمت مع مغيب الشمس والليل يحلّ معتماً.. لم أجرؤ على إشعال المصباح الذي أملكه خوفاً من كشف موقعي، بل اعتمدت على حدسي حتى عدت لموقعي الأول لأجد الحارس ينتظر صامتاً وهو يتأمل ساعته المحطمة، فسألته بشيء من الشك "هل تعمل؟" ابتسم مجيباً "لا تخافي.. حتى لو كانت تعمل، فلن أستخدمهم ما دمت في الجوار"

جلست على مبعدة دون أن يغادر الشك وجهي، فقال بجدية "أخبرتكَ أنني مدين لك بحياتي.. ولا يمكن أن أضرك أبداً.. وإن كنت لا أعلم لم تفعلون ما تفعلونه بهربكم هذا.."

قلت مبتسمة بجانب فمي "أريد جواب هذا السؤال منك أنت.. ما الذي تعتقد يغرينا بالبقاء والاستسلام في هذه الظروف التي نعيشها؟ هل ترضى بالاستعباد وقضاء حياتك دون رغبتك في كويكب بعيد تحت رحمة أشخاص لا تعرفهم وتقوم بعمل مجهد بلا أجر ولا راحة؟"

قال مقطباً "لكن أنتم جميعاً محكوم عليكم بالسجن المؤبد.. أنتم أصحاب سوابق خطيرة.. العيش في هذا المكان الخلاب أفضل بالتأكيد من العيش في زنزانة حقيرة بقية عمرك، وأفضل قطعاً من الإعدام.."

قلت باعتراض "من قال ذلك؟ لقد أفقدونا ذاكرتنا.. أتعلم لماذا؟ لأنهم لا يريدون أن نكتشف حقيقة ما يفعلونه.. ليس الكل هنا مجرم خطر يقضي عقوبته مدى الحياة.. بعضنا بريء، أجبر على القدوم هنا لتغطية العجز في العمال على الكويكب.."

نظر لي بغير تصديق وهتف "مستحيل.. لا تملكين دليلاً على ذلك.."

فقلت "بعضنا قد بدأ يستعيد ذكرياته.. وأحد رفاقي يؤكد أنهم اتهموه بتهمة باطلة بعد أن بدأ بنبش خبايا المؤسسة بحثاً عن عمه الذي اختفى في ظروف غامضة.."

غمغم وليد "هذا قول كبير، لو كان مؤكداً.. لكن مع ذلك ينقصكم إثبات.."

علقت "ستجد الإثبات في بيانات السجناء في الإدارة.. لاشك أنهم يحتفظون بدلائل مهمة في ملفاتهم.. لكن أخبرني.. منذ تلك الليلة التي هربنا فيها، لا أشعر أن الإدارة تبذل جهداً كافياً للبحث عنا والقبض علينا.. فلم ذلك؟"

أجابني "إنهم يبحثون عنكم بالفعل، لكنهم لم يُسَخِّروا الكثير من الحراس لهذا.. المساكن والمناجم

تستهلك الكثير من الحراس، ولا يمكن أن نتسبب بضعف الحراسة في مواقع مهمة كنتك للبحث عن بضع هاربين.. ثم إن القائد مقتنع أنكم ستحاولون التسلل للسفينة الفضائية، وبهذا يمكنه القبض عليكم دون بذل كثير من الجهد..”

غمغمت “وهذا حق.. هذا معناه أن الخطر سيكون مضاعفاً عند محاولتنا التسلل.. لكن.....” صمت فجأة وأنا أقف متوجسة مع الصوت الخافت الذي تسلل لسمعي.. أشرت له ليصمت وإن لم يكن بحاجة لذلك مع منظري، ثم استعددت بسلاحي، أو سلاحه بالأحرى، وأنا أنتظر الشخص الذي سيظهر أمامي مع اقتراب الصوت من موقعنا..

بعد فترة قصيرة سادها الصمت، سمعت صوتاً هامساً يناديني، عندها تنهدت وخرجت من موقعي وأنا أقول “أتعلم لو أنك لم تتحدث، لوجدت رصاصة تحييكَ فور اقترابك مني؟..”

وجدت أمجد قد نزل على شيء من المبعدة من موقعنا، ولما رأيته اقترب قائلاً “إذن لم نخطيء في المكان.. من المستحيل رؤيتك أو الشك بوجودك من الأعلى..” سألته وأنا متعجبة “ما الذي جاء بك الآن؟ لقد حلّ الظلام وسيغدو ارتقاؤك هذا الجرف أكثر صعوبة وخطورة”

قال أمجد وهو يشير خلفه “ليس كذلك.. لقد أتيت لاستعادتك..” فتحت فمي لأعترض، فسارع ليقول “وقمت بتجهيز وسيلة لإخراج الحارس من هنا.. فقط علينا الاعتماد على قوة أدهم وعلى حظنا البحث في عدم مباغته الحارس لنا” كان قد وصل لموقعي، فنظر للحارس من خلفي وهو يغمغم “أهو بخير؟” تساءلت بابتسامة “لم يكن هذا يهكم قبل فترة قصيرة” أجابني مقطباً “لست مهتماً به بل بك.. أريد أن أعيده للأعلى لتطمئنني عليه وتعودي إلينا دون اعتراض.. لا يمكنني أن أتخلى عنك الآن”

نظرت للحبل المتدلي خلفه وقلت “لا أفهم.. كيف تنوي...” فقال أمجد “سنرفعه بهذا الحبل حتى أعلى الجرف، وهناك سيصبح قادراً على استدعاء زملائه والعودة للإدارة”

قلت مقطبة “جهاز اتصاله معطل.. وهو جريح بشدة ولا يمكنه السير لمسافة قصيرة حتى” علق أمجد “لا تقلقي.. سنتدبر الأمر”

فقلت بحدة رغماً عني “لو كنت تنوي رميه في الأعلى ليعود بمفرده فانس الأمر.. لن يتحرك من هنا بأي حال”

قال مقطباً “ما الأمر يا حمراء؟ لماذا أنت متحاملة علينا بهذه الطريقة لأجله؟ نحن نحاول استعادتك

دون أن تتعرضي للخطر، فساعدينا قليلاً دون اتهاماتك هذه"

صمتُ بانتظار تفسير منه، فقال "سنرفعه ونحاول نقله لأقرب موقع يمكن أن يجده الحراس فيه بسرعة.. وبهذا سيتمكن من تلقي العلاج قبل أن تسوء حالته.. أيكفي هذا؟"

سمعنا صوت الحارس من خلفي يقول "سيكون هذا رائعاً.. شكراً لكم"

علت أمجد الدهشة لما سمع لغته العربية الواضحة، لكنه لم يعلق وهو ينظر لي بانتظار رأيي، فغمغمت "إن كنت متأكداً أنه لن يتضرر، فلا اعتراض لدي.."

علق أمجد بصوت خافت "ما الذي تهدفين لفعله حقاً؟"

ابتلعت لسانني قبل أن أرد عليه برد يزعجه، فيما اقترب أمجد من وليد قائلاً "هل تستطيع الوقوف والسير حتى الحبل؟"

غمغم وليد "سأحاول.."

وحاول النهوض بعسر شديد والألم صارخ على وجهه بسبب جراحه، وقبل أن أعترض بكلمة قام أمجد بمساعدته على الوقوف وأسند ذراعه على كتفه ليساعده على السير.. فتبعتهما صامتة، ورغم قلقي على جراح الرجل التي بدأ بعضها بنزف المزيد من الدماء، إلا أنني صمت عن التعليق.. ليس من حقي أن أستبقي الرجل وأسبب له ضرراً أشد في غياب العلاج المناسب.. عندها سأكون قد أذيتَه بدل مساعدته..

قرب الحبل، قام أمجد بعمل حلقة صغيرة به ليتخذها وليد كمنكأً لقدمه، وساعده ليضع قدمه اليسرى فيها قائلاً "عليك باستخدام قدمك الأخرى في دفع جسدك بعيداً عن الصخور لئلا ترتطم بها.."

لم يعلق وليد وهو يحيط ذراعه الأيسر بالحبل عدداً من المرات، ثم بجذبة قوية للحبل قام بها أمجد، وجدوا الحبل يشد فجأة ويبدأ بالارتفاع شيئاً فشيئاً.. وكلما اقترب وليد من الصخور، قام بدفع جسده بعيداً عنها بدفعة خفيفة.. ظللت مع أمجد نراقب ما يحدث بقلق خشية سقوط وليد وحدوث أضرار أكبر لجراحه.. لكن بعد أن ارتفع وتجاوز نصف المسافة، التفت أمجد إليّ قائلاً "هيا بنا.. لا يجب أن نتأخر.."

واقترب من الجرف القائم ليصعد عليه، فقلت قبل أن يبتعد "شكراً لمجيئكِ.. وأسفة إن كنت قد أذيتك في غضبي.."

قال أمجد وهو ينظر إليّ "لقد جئت لأجلك أنت.. لكن أتمنى ألا تشذي عن الفريق مرة أخرى.."

غمغمت مطرقة "أخبرتكَ أنني لم أستطع تركه ليموت.."

فابتسم أمجد ابتسامة صغيرة قائلاً "وتدعين أنك لا تهتمين؟ أنت فتاة غريبة، تخالفين أقوالك بأفعالك باستمرار.."

قلت مقطبة وأنا أشرع بالصعود "هذا شيء آخر.."

لم يعلق أمجد وهو يصعد بدوره محاذرين أن نزل مع اشتداد الظلام وعدم تمكننا من إنارة أي مصباح.. كان صعوداً مرهقاً جداً، ولما وصلنا للأعلى غمغم أمجد محاولاً التقاط أنفاسه "ألم تجد مكاناً أفضل للسقوط فيه يا رجل؟"

علق وليد وهو يجلس جانباً بتعب "الفضل لرفيقتكم في هذا"  
لم يعلق أدهم بكلمة وهو يطوي الحبل بيده ثم يحمله على كتفه، فيما قالت بسمه من موقعها وهي تراقب المنطقة القريبة "أسرعوا.. أخشى أن يقترب منا الحراس دون أن ننتبه"  
فقال لي أمجد "عودي أنت وبسمه لمخبئنا.. سننقل الرجل حتى أقرب موقع نستطيعه وسنعود سريعاً.."

لم أكن أستطيع الاعتراض لئلا أبدو متشككة بهما، لكن قبل أن أبتعد مع بسمه سمعت وليد يقول "مهلاً.. ما أخبرتني به عن المؤسسة.. أأنت متأكدة من صحته؟"  
نظر أمجد وأدهم لي مقطبين، فقلت متجاهلة إياهما "أجل.. ابحث عن السبب الذي يجعلهم يفقدوننا ذكرياتنا.. دقق في تصرفاتهم وملفاتهم وستدرك كل شيء.."  
فقال وليد "إن كان ما تقولينه حقاً، فلا يمكنني السكوت على ذلك.. وإلا كنت مجرماً مثلهم.."  
ثم نظر لأمجد مضيقاً "لو أردت الوصول إليكم، فكيف يمكنني ذلك؟ لازلت أريد التأكد من هذا الأمر قبل أن أنغمس فيه أكثر.."

قال أدهم بحدة "لو حاولت البحث عنا مجدداً فلن أتهاون معك، ولن ينقذك أينما مرة أخرى.."  
وأضاف أمجد "مهما كانت أسبابك، فلا يمكننا الوثوق بك أبداً.. لذلك ابتعد عن طريقنا إن كنت ممتناً حقاً لإنقاذها حياتك"

كان هذا إيذاناً لي ولبسمه بالرحيل، فاستدرت معها وغادرت بصمت.. فيما أسند أمجد وأدهم وليد وهما يتجهان به إلى إدارة المؤسسة..

بالنسبة لي، فقد شعرت أن وليد لم يكن كاذباً.. قد أكون مبالغاً، لكنني شعرت بالصدق في عينيه.. لكن مع ذلك لا يمكنني تجاهل خطورة وجوده علينا.. مهما كان ممتناً لنا، فقد يرى أن إعادتنا لحظيرة المؤسسة خير لنا من الضياع ثم الموت في هذا الكويكب.. أو التعرض للقتل على أيدي بقية الحراس.. سألتني بسمه بهمس ونحن نسرع في طريقنا للمخبأ "أنتعدين أننا خسرنا مساعدة أحد الحراس؟ ألم يكن من الأفضل منحه بعض الثقة؟ قد يعيننا على ما نريد خاصة وأنه من طاقم المؤسسة، أي أنه سيواجه تساؤلات أقل منا نحن السجناء لو حاول التقصي عن بعض الحقائق"  
قلت هازة كتفي "لا أعتقد أن أي الرجلين سيوافقك على قولك هذا.. يكفي أنهما كادا يقتلاني لأنني

حاولت إنقاذ حياته”

غمغمت بسمة “أنت تبالغين.. هما كانا خائفين عليك فقط”

لم أعلق على هذا قط.. بل التزمت الصمت ونحن نسلك طريقاً حفظناه في هذه الغابة المظلمة..

\*\*\*\*\*

ظلت بسمة تجول في المخبأ بقلق، بينما بقيت جالسة قرب مدخله بصمت أنظر لأصابعي وأحاول تقييم كل ما حدث هذا اليوم.. هناك عدة أفكار تدور في رأسي، حول ما أنتوي فعله، حول أهمية وجودي مع الآخرين رغم تعارضنا الدائم، حول تلك الومضات التي تتراءى لي بشكل دائم..

ويبدو أنني بدوت لبسمة غير مهتمة، إذ أنها وقفت أمامي بغضب لم أعده منها وهي تقول لي “ألسن قلقة عليهما؟”

رفعت رأسي إليها مجيبة “لم أقل ذلك”

فقال بعصبية “إذن لماذا لا يبدو ذلك عليك؟ فيم تفكرين في هذا الوقت؟ لو حدث لهما أي شيء، سيكون هذا بسببك أنت”

قلت بحدة “أنا لم أطلب منهما اللحاق بي.. أخبرتكم صراحة أنني مستعدة للانفصال عن الفريق إن كنتم تخشون أن أسبب لكم ضرراً.. كان عليهما الاكتفاء بهذا والبقاء هنا بصمت..”

ظلت بسمة تنظر لي بغضب استغربت، ثم جلست في جانب المكان وهي تهز قدمها بعصبية.. فلم أمنع ابتسامة من التسلل لشفتي وأنا أداريها عن أنظارها.. لقد أبدت هذه الفتاة انفعالاً غير الذعر والهلع الدائمين.. للمرة الأولى تتخلى عن طبيعتها ومراعاتها للآخرين وتظهر غضباً كهذا..

سمعنا خطوات أمجد وأدهم ورأيناها يتقدمان منا بصمت، فوقفت وأنا أسألهما “هل أخذتماه قريباً من الإدارة؟ ساعته محطمة، كيف سيتمكن من مناداة رفاقه؟”

قال أدهم مقطباً “لا تقلقي.. إنه بخير”

قلت بحدة “هذه إجابة عائمة.. قد تعني أنه بخير عند رفاقه يتلقى العلاج المناسب أو أنه بخير في هوة عميقة ينتظر الموت”

أجاب أدهم وهو يلقي بجسده جانباً “هلا كففت عن هذه الأسئلة؟ يكفيني ما واجهته هذا النهار”

لم يبدُ على أمجد أيضاً أنه سيجيب على أسئلتي مما سبب لي الضيق.. هل أنا لحوحة لهذه الدرجة؟.. لم يمض وقت طويل من الليل حتى كانت بسمة قد استلقت جانباً بدورها متدثرة بكل ما تستطيع وهي تنام نوماً عميقاً.. أما أنا، فقد جلست قرب المدخل أراقب في مناوبتي الأولى، وعليّ بعدها إيقاظ

أدهم الذي لم يكن بأفضل حالاً من بسمه.. كنت لازلت أحتفظ بخنجر الحارس، فأخذت أقلبه في يدي وأتأمله.. لا أعتقد أنه سيكون أسفاً لفقده كثيراً، وهو قطعاً أكثر فائدة لي منه.. وطبعاً لم أعد له سلاحه فهو أكثر نفعاً لي..

رأيت أمجد يقترب ليقف قريباً مني، لكنني لم أفه بكلمة وأنا مستمرة بتقليب الخنجر في يدي، ثم سمعته يقول وهو يجلس قريباً "ما معنى ما حدث هذا اليوم يا حمراء؟ أنت تتصرفين بغرابة تامة.. وكأنك تحاولين إثبات نقطة لا نفهمها.."

نظرت له مقطبة وقلت "أي نقطة هذه؟ حاولت إنقاذ حياة رجل.. ما الغريب في هذا؟" قال بإصرار "ليس بهذه الطريقة.. لقد كنت متحاملة علينا ومصرة إصراراً غريباً أننا ننوي إيذاءه.. لو كان ذلك الحارس شخصاً قريباً منك، لما استغربنا الأمر.. لكنه غريب عنك.. وربما عدو.. فلماذا؟" أجبت "لقد عاملته كإنسان قبل أن يكون غريباً وعدواً.. وألم يدر في ذهك أننا قد نكسبه في صفنا بعمل كهذا؟ لا أدري ما الذي يسوؤكم في ما فعلته.."

ظل ينظر لوجهي وكأنه يبحث عن إجابة أخرى، فقلت بشيء من الحدة "أستطيع أن أرى التكذيب في عينيك بوضوح.. فلماذا لا تصدقني؟"

قال بصرامة "لأنني أجد اهتمامك به يتجاوز الاهتمام بأي شخص غريب"

قلت بسخرية "أجل.. لقد وقعت في هواه من النظرة الأولى.. أو ربما من الجرح الأول"

بدت الصدمة على وجهه.. الأحمق، هل صدق مزحة كهذه؟.. ثم وجدته يغادر بصمت تام مما جعلني متعجبة من أمره.. لكن ما المهم؟ سواء صدق هذا أم لم يصدقه فلا يهمني في شيء..

\*\*\*\*\*

عندما اجتمعنا في اليوم التالي في المخبأ، قال أمجد وهو ينظر لنا "لقد قررت أن أضع خطة لإنقاذ عمي وتنفيذها بمساعدتكم.. بعدها سنحاول الهرب من هذا المكان بأسرع ما نستطيع"

قلت بشيء من الدهشة "نعلم هذا.. لكن ألم تقل إنك لا تعلم أين هو عمك؟"

صمت أمجد وهو يتبادل النظرات مع أدهم، ثم قال بهدوء "بل أصبحت أعرف موقعه الآن.."

نظرنا له بدهشة شديدة لم يشاركنا فيها أدهم.. إنهما يعلمان بأمر ما وأخفياه عنا.. فما الذي استجد من البارحة حتى اليوم؟..

عدت أسأله "كيف؟ ما الذي استجد منذ الأمس؟"

أجابني أمجد "لقد سألت الحارس المصاب إن كان يعرف عمي، وقد أخبرني أنه يعرفه ويعرف

موقعه..”

فقلت بضيق “ما الذي فعلتما به؟ هل استغلتما جراحه لإجباره على الحديث؟”  
قطب أمجد بضيق بينما قال أدهم بصرامة “لا داعي لهذه الاتهامات يا حمراء.. نحن لسنا وحوشاً”  
ظلمت أنظر لأمجد بحق بانتظار تفسير منه، فقال بشيء من الجفاف “لم نجبره ولم نسع لأذيته.. لقد  
سألته قبل أن نصل للمباني الإدارية.. وهو لم يتوان عن إجابتنا.. هو يشعر أنه مدين لنا بالكثير ولم  
يعترض على ما طلبنا معرفته أبداً”

صمتُ بعد قوله فيما هو يضيف “لست أدري لم تصرين على اتهامنا برغبة إيذائه..”  
قلت مقطبة “ليس ذنبي أنكم أفصحتم عن عدم رغبتكم معاونته منذ البدء..”  
قال أدهم “لنترك هذا جانباً.. ولنتحدث عن عمك يا أمجد”

زفر أمجد وهو يحاول استعادة هدوئه، ثم قال “عمي موجود في المباني الإدارية.. إنه مسجون فيها  
بشكل دائم، وليس موجوداً في المساكن التابعة لأحد المناجم”  
نظرت له بدهشة وبسمة تقول “لم ذلك؟ لم لا يعمل في المناجم كالبقية؟”  
التمعت عينا أمجد وهو يجيب “لأن عمي ليس مجرد سجين عادي..”

نظرنا له بتساؤل، فقال بابتسامة ثقة “عمي هو أحد العلماء الذين ساعدوا على تطوير الكويكب”  
اتسعت أعيننا بذهول وقد فاجأتنا تلك المعلومة.. ثم غمغمت “أنت لم تذكر ذلك من قبل.. ثم إن الكويكب  
اكتشف منذ أوائل القرن، هذا معناه أن عمك لا يقل عمره عن السبعين بحال”  
أجابني “لم يكن هناك سبب قوي لأخوض في تلك التفاصيل.. وعمي لا يزال في الأربعين من عمره..  
إنه انتدب لتطوير الكويكب منذ فترة قصيرة، سبع سنين تقريباً..”

ثم أضاف “عمي شارك ضمن فريق العلماء الذين انتدبوا لتطوير الكويكب بشكل عام، وبخاصة جهاز  
ضبط الجاذبية فيه.. لكننا لم نسمع الكثير منه لأنه غادرنا منذ انتدابه ولم تصلنا أي أخبار منه حتى  
عودته فجأة للوطن، وظل يتصرف بارتباك مثيراً تعجبنا وريبتنا.. ثم اختفى فجأة منذ عدة أشهر بعد  
أن حادثني عدة مرات بالهاتف وألقى في نفسي عدداً من التساؤلات عن تصرفاته العجيبة..”  
تساءل أدهم “أعتقد أن لعمله هذا فائدة بالنسبة لنا في هروبنا؟”

قال أمجد بثقة “بالطبع.. معلوماته عن الكويكب تفوقنا جميعاً.. وقد نستطيع بواسطته كشف الكثير من  
خبايا المؤسسة.. وبعد أن نتمكن من الهرب من هذا الكويكب، سأسعى لفصح ممارسات المؤسسة  
وانتهكاكاتها لدى العالم أجمع”

بدا لي هذا إغراقاً في أحلام لا حدود لها، بينما قال أدهم “بالنسبة لي أريد مغادرة هذا الكويكب،  
وفور أن يتحقق لي ذلك سأنسى وجوده تماماً وأعيش حياة أعوض بها البؤس الذي حاق بي هنا..”

فقلتُ مؤيدة "هذا أفضل بالنسبة لي أيضاً.. لا أريد الدخول في دها ريز قضية أعتبرها خاسرة منذ الآن.. مهما فعلنا فلن يصدق أحد حديث سجناء محكوم عليهم بالإعدام أو السجن المؤبد.."  
نظر أمجد لنا بشيء من الإحباط.. أكان يتوقع منا حماساً غير محدود وانصياعاً لأحلامه غير المعقولة؟.. ثم تنهد قائلاً "لن أفرض عليكم أكثر من ذلك.. يكفي مساندتكم لي حتى نتمكن من الهرب من الكويكب.."

ثم اعتدل جالساً وقال "الآن سنعمل على إنقاذ عمي قبل أي شيء آخر.. ثم نرسم خطتنا التالية بمساعدته.."

تساءل أدهم "كيف سنتمكن من إنقاذه من بين أيديهم؟"  
قال أمجد "هذا ما يجب أن نخطط له.. معلوماتنا عن المباني الإدارية قليلة.. أقترح أن نقوم بمراقبتها لعدة أيام حتى نكتشف الثغرة التي تبيح لنا الدخول وإنقاذ عمي منهم.."  
قال أدهم باعتراض "ولم الانتظار؟ أنسيت أن ذلك الحارس قد عاد لهم؟ لا ندري ما الذي سيخبرهم به.. قد يدلهم على الموقع الذي التقينا به فيه، وهو غير بعيد عن مخابنا هذا.. قد يخبرهم بنيتنا تهريب العم.. لذلك يجب أن نبدأ التحرك بأسرع مما يتوقعونه.. أقترح أن نقوم بذلك الليلة"  
قال أمجد مستنكراً "الليلة؟ هذا جنون.. يجب أن نعرف خط سير الحراس والوقت الذي تقل فيه الحراسة في الساحة وغيرها من معلومات ضرورية لتمكيننا من إحباط خطة جيدة.. لا يوجد أي داعٍ لهذا التهور"

قال أدهم بحزم "لست مقتنعاً بذلك.. تأخرنا يزيد من خطورة موقفنا.. لست آمن ذلك الحارس ولو قليلاً.. يجب أن نضرب ضربتنا قبل أن يحكموا تحصيناتهم حول عمك ويترصداً لنا بكل ما يملكونه.."  
قلت بدوري "هذا ما أراه أنا أيضاً.. رغم أنني أشك بخيانة وليد لنا بهذه السرعة، وهو قد أكد لي كثيراً أنه لن ييؤح بأمرنا أبداً، إلا أنني أرى في التأخير تطويلاً لا داعي له.."  
قال أمجد بغير تصديق "أنتما متهوران كثيراً.. هذه مسألة حياة أو موت.. لن نسلم من خطر أن يصاب أحداً أو يتم القبض عليه إذا ما فشلنا.."  
اندفعت أقول "ولم هذا التشاؤم؟ لا تكن متردداً بهذا الشكل.. أحياناً يكون الارتجال أفضل من الخطط المدروسة"

نظر لي أمجد بضيق ظاهر في عينيه، لكنه لم يعلق وأدهم يضيف "سنبدأ الليلة.. هذا أفضل وقت ممكن.."

صمت أمجد تماماً دون تعليق، مما دللنا على رضوخه للأمر.. فأنار هذا راحة في نفوسنا، في نفسي أنا وأدهم على الأقل.. فبسملة تذعر من مجرد ذكر خطط التسلل للمباني الإدارية وتصور ما قد يحدث



عند تنفيذها.. وأمجد لا يبدو راضياً بأي حال..

\*\*\*\*\*

مع مغيب شمس هذا اليوم، كان أمجد وأدهم قد استعدا للقيام بالعملية التي خططنا لها، وقد استعددت أنا أيضاً وأنا أتسلح بسلاح وليد الذي لازلت محتفظة به.. كان من المفترض أن ينفذ أمجد وأدهم خطتهما بدخول المباني الإدارية، بينما أبقى أنا في أقرب جزء من الغابة مستعدة بسلاحي في حال تعرضوا للملاحقة أو خطر أثناء هروبهم.. عندها قد يفيدهم وجودي لأجذب عنهم انتباه مطارديهم.. أما بسمة، فقد اقتنعت بعد جهد بالبقاء في المخبأ وحيدة.. لأن وجودها معنا عبء أكثر منه فائدة لنا، وقد ينالها شيء من الخطر الذي سيحقيق بنا.. أما في المخبأ فلا نظن أن أحد الحراس قد يتوصل إليه في الليلة التي سنغيب فيها..

وصلنا بعد وقت قصير لأطراف الغابة المقابلة للمباني الإدارية، فربضنا في موقع مدروس وأمجد يقول بخفوت "ستمر المركبة قريباً.. نفذ الخطة دون ضوضاء ما أمكنك يا أدهم.."

ابتعد أدهم عن موقع أمجد مسافة معقولة واختبأ خلف الأشجار بصمت بينما أسرعت أنا أرتقي شجرة قريبة وسلاحي معلق على كتفي.. مرت دقائق استطالت لتصبح نصف ساعة قبل أن نسمع صوت المركبة الواضح في سكون الغابة.. ولما تبدت لنا أنوارها الأمامية وهي تعبر في طريقها المعتاد كما تفعل دائماً منذ قدومنا للكويكب، عندها أسرع أمجد خارجاً من مخبئه وهو يلوح بذراعيه صائحاً بلغة نايبو "توقفوا.. أرجوكم توقفوا.."

سقط نور الكشف على أمجد ليظهره بوضوح للحارسين في المركبة، فتوقفت المركبة فجأة والحارسين يشهران سلاحيهما في وجهه وأحدهما يصيح "يا للشيطان.. ما الذي تفعله هنا؟"

اقترب أمجد منهما رافعاً ذراعيه بينما قال الآخر "إنه أحد الهاربين" كنا واثقين أن الحراس لن يحاولوا إطلاق النار على أمجد رغبة باستجوابه، وهذا قد طمأن أمجد الذي أسرع يقول بلهفة "أرجوكم ساعدوني.. أحد السجناء ممن هربت معهم يحاول قتلي.. إنه قريب من هنا.."

كان قد وصل قريباً من قائد المركبة الذي أولاه هو ورفيقه اهتمامهما رغم الأسلحة التي لم يخفضاها، ولم ينتبها لأدهم الذي تسلل من خلفهما بدون صوت واستخدم سلاحه في توجيه ضربة قوية لرأس الحارس الآخر دار لها رأسه.. ولم يكد القائد يلتفت لرؤية ما حدث والدهشة تغمره حتى وجد أمجد يعاجله بضربة قوية لسلاح الحارس ليدفعه للخلف بقوة فيصيبه في وجهه، وقبل أن يتمالك القائد نفسه

وجد أدهم الذي قفز في المركبة يعاجله بضربة مماثلة أسقطته هو الآخر على مقود مركبته..  
عندها سارع أمجد وأدهم لإنزال الحارسين فاقيدي الوعي من المركبة وقاما بجرحهما بعيداً بين  
الأشجار.. وفي منطقة بعيدة، قام أدهم بتقييدهما لإحدى الأشجار مستخدماً حبلًا وجده في المركبة،  
بينما قام أمجد بنزع أجهزة الاتصال المكونة من ساعة حول الرسغ وقطعة صغيرة في الأذن، وتأكد  
من تحطيمها بشكل تام، ثم نزع ملابس أحدهما ممن يماثله في الحجم وارتداها بعجلة..

بعد كل ذلك، حمل أمجد سلاح الحارس وهو يقول "لا تناسبك ملابس أيهما.. أليس كذلك؟"  
فقال أدهم "نلتزم بالخطة الأصلية.. سأنتظر بأنك أحضرتني بناءً على الأوامر حتى نتمكن من  
دخول ساحة المباني الإدارية دون أن نثير الشكوك"

عادا للمركبة فاستقلها وأمجد يلتفت إليّ حيث جلست على فرعٍ عالٍ من الشجرة، فلوح لي بإشارة  
لأبقى متنبهة لعودتهما.. لم أعلق وأنا أراه يقود المركبة مكماً طريقه نحو المباني الإدارية، فتنهدت وأنا  
متشبثة بسلاحي أنظر للمباني القريبة..

وفي المركبة، عدل أمجد وضعية القبعة على رأسه وقال لأدهم "تذكر أن الساحة والمباني مليئة بأجهزة  
المراقبة فلا تظهر ما يكشف سرنا.. ولا تنس تخبئة يدك اليسرى لئلا يكتشفوا غياب السوار.."  
علق أدهم وهو يدس يديه في جيوبه "المرور عند المدخل سهل.. لكن ماذا بعد ذلك؟"

غمغم أمجد "سنعمل بالخطة المحددة وسنرتجل فيما غير ذلك"

ضحك أدهم قائلاً "سنرتجل اعتماداً على خبراتنا الحربية السابقة؟ هذا لا يبشر بخير"

زفر أمجد دون تعليق والمركبة تحملهما خارجين من الغابة وعبر المساحات الصخرية التي تفصل الغابة  
عن المباني الإدارية.. كانت الكشافات الموزعة عبر السور تكشف المناطق المحيطة به كلها.. وعندما  
اقتربت المركبة من البوابة اعتدل أمجد في جلسته محاولاً أن يكسب وجهه صرامة تناسب ما يبدو على  
الحراس عادة.. وعند المدخل أوقفه الحارس المسؤول واقترب من المركبة قائلاً "أين تأخذ هذا السجين؟"  
قال أمجد وهو يحاول ألا يظهر وجهه بوضوح للحارس "طلب مني أحد مساعدي القائد إحضاره من  
المساكن.. أهنالك مشكلة؟"

نظر الحارس لوجه أدهم بتمعن وأمجد يخشى أن يتعرف الحارس وجهه، لكن الحارس تراجع بعد

لحظات قائلاً "انطلق.. ولا تنس تسليم مفتاح المركبة للقائد قبل انتهاء مناوبتك"

هز أمجد رأسه إيجاباً وهو يدلف من البوابة التي فتحت أوتوماتيكياً.. ثم قام بإيقاف المركبة في وسط  
الساحة وهبط منها ممسكاً سلاحه وأشار لأدهم ليهبط من المركبة بدوره.. ظل محتفظاً بمفتاح تشغيل  
المركبة ليتسنى لهما استخدامها عند خروجهم، والذي لا يشك أنه سيكون حافلاً..

سار أمجد عبر الساحة وهو يجرّ أدهم معه محاولاً ألا يلفت الأنظار كثيراً، عندما أوقفتهما صيحة

صارمة من خلفهم.. تجمدا في موقعهما بتوتر، قبل أن يلتفتا خلفهما ليريا ما زاد توترهما أضعافاً..  
كان قائد الحراس يقترب منهما بخطوات صارمة ومعه أحد مساعديه.. فغمغم أدهم "يا للمصيبة.. إنه قائد الحراس"

رد عليه أمجد بشيء من العصية بصوت خافت "اصمت.."

سمعا قائد الحراس يقول لأمجد بصرامة "ألست قادماً من المنجم (أ) أيها الحارس؟"  
اعتدل أمجد في وقفته مجيباً "أجل سيدي.."

قال القائد بحدة "أين روبرت؟ لقد طلبت منه إحضار إحصائية مهمة من المنجم، وحتى الآن لم يخاطبني ويرفض الإستجابة لاتصالاتي.. فأين هو؟"

شك أمجد أن يكون القائد يتحدث عن أحد الحارسين اللذين أطاحا بهما سابقاً في الغابة، لكنه تمالك ارتبائه وهو يقول "لا يزال في المنجم يا سيدي.. رأيته منهمكاً بعمله هناك ولست أدري لم لا يجيب على الاتصال"

تأمله القائد بنظرة طويلة شعر أمجد أنها تحمل شيئاً من الشك، ثم مد يده لأمجد قائلاً بصرامة "أين مفتاح المركبة؟ ناولني إياه مادمت قد أنهيت مناوبتك"

كان أمجد يود الاحتفاظ بالمفتاح لتسهيل هروبهم، لكنه لم يجد مناصاً من تسليمه إياه لئلا يثير الشكوك، بينما قال المساعد "ما الذي يفعله هذا السجين هنا؟ من أمر بإحضاره؟"

أجاب أمجد بسرعة مستخدماً الحجة التي فكر فيها مسبقاً "لقد طلب مني أحد المساعدين إحضاره من المنجم فور إنهائه لعمله.. ولست أعلم بالسبب"

تساءل المساعد "من من المساعدين بالضبط؟"

ارتبك أمجد قليلاً ثم قال "المساعد دانييل.. هو قد خاطبني عبر جهاز الاتصال وطلب مني إحضاره"  
نظر المساعد للقائد بشيء من الدهشة والقائد يغمغم "لقد كنت مع دانييل للتو ولم يذكر لي شيئاً من هذا"

ظل يحدج أمجد بنظرات متفحصة بينما غمغم المساعد "هل أعود له لأسأله عن السبب؟"

شعر أمجد بتوتر بالغ وهو يخشى أن تُثار شكوك أكثر حولهما، ثم سمعوا أدهم يقول بضجر "هيا.."

أنا متعب بعد كل ذلك العمل الشاق وأريد أن أنتهي من هذا بسرعة"

ألقى القائد نظرة سريعة على أدهم قبل أن يلوح بيده قائلاً "أذهب وأبعد هذا الوقح من أمامي.. يبدو أن هذه الليلة لن تنتهي على خير"

أسرع أمجد يجذب أدهم ليسير معه مبتعدين عن القائد الذي صاح في مساعده "جد أي طريقة للاتصال بذلك الأحقق روبرت وليحضر لي ما طلبته منه على وجه السرعة"

غمغم أمجد وهما يبتعدان عن مسامع القائد "ألم تستطع إغلاق فمك لدقائق معدودة؟" قال أدهم بصوت خفيض "لقد بدأ يشك بك.. لذلك حاولت أن أصرف نظرهما عنك.. عليك شكري بدل تأنيبي.."

دلفا أحد المباني القريبة دون أن يلتفت إليهما أحد، وأسرعاً للطابق الثاني فيه حيث قلّت الحركة كثيراً وبدا الطابق مهجوراً.. في الواقع كان ذلك الطابق أصغر من بقية المبنى إذ لم تكن فيه إلا أربع غرف متباعدة..

نظر أمجد حوله بتوتر متفحفاً الأبواب وأدهم يسأله "أتعرف أي واحد فيها هي المطلوبة؟" غمغم أمجد "قال إنها الغرفة المتطرفة.. لكن من الصعب تحديد ذلك هنا" تقدم أدهم لأبعد باب في الطابق قائلاً "لابد أن يعني هذه الغرفة.."

حاول فتح الباب فوجده مغلقاً كما توقعوا، فقال أدهم "هل نكسر القفل باستخدام الرصاص؟" أسرع أمجد يقول "لا نستطيع.. سنجذب الانتباه بهذا ولا شك.. لنحاول فتحه بالقوة دون جلبة" أبعد أدهم وهو يقول "سيكون هذا صعباً.."

وضرب الباب بكتفه بقوة عدة مرات.. بينما وقف أمجد يراقب الممر بقلق ثم يعود ببصره لأدهم الذي وجد الباب قد تضعض لكنه لم يفتح بعد، فقال "مرة أخرى بعد.."

أوقفهما صياح من خلفهما فالتفتا بسرعة ليجدا حارساً عند رأس الممر ينظر لهما بدهشة، ولم يلبث أن رفع جهاز الاتصال عندما أدرك أنهما يحاولان اقتحام الغرفة، فصاح أمجد وهو يرفع سلاحه "أسرع يا أدهم.. لقد كشف أمرنا"

أطلق أمجد عدة رصاصات قريباً من الحارس ليَجبره على التراجع والاختباء في زاوية الجدار، بينما استنفّر أدهم قوته وضرب الباب بأعنف ما عنده ليفتح بدويّ عالٍ.. أسرع أدهم للغرفة بينما حاول أمجد الاختباء وهو يتبادل إطلاق النيران مع الحارس، لكنه لم يلبث أن سمع أدهم يصيح "إنها فارغة.."

بهت أمجد للحظات قبل أن يهرع للغرفة فيتأمل زواياها الفارغة إلا من بعض الأثاث المهمل، عندها قال بضيق "لقد فشلنا.. أم أن وليد خدعنا؟ والآن الحراس قادمون إلى هذا الطابق.. لنهرب"

أطلق عدة رصاصات من سلاحه عبر الباب ليَجبر الحارس على التراجع قليلاً ثم ركض مع أدهم في الاتجاه الآخر من الممر ليجدا أمامهما مخرج الطواريء.. فدلفا من الباب بسرعة وهبطا السلالم قفزاً..

لكن لم يتجاوزا الطابق الأول عندما سمعا أصواتاً قادمة من الأسفل بالإضافة لصوت صفارات الإنذار التي تعالت في الساحة.. الآن غدا الوضع مكشوفاً أكثر وسيواجهان الكثير من المصاعب حتى يستطيعا تجاوز بوابة الساحة.. التفت أمجد لأدهم متسائلاً "هل تستطيع تشغيل المركبة دون مفتاح؟"

قال أدهم مقطباً "بالطبع، لو أنها مثل السيارات العادية.."

فنظر أمجد عبر فتحة السلالم وقال "لن نستطيع النزول عبر هذا المخرج ولا العودة من حيث جئنا.. اكسر النافذة خلفك واقفز، وفور أن نخرج من هذا المبنى حاول تشغيل المركبة التي أتينا بها وأنا سأبعد الحراس عنا ما استطعت"

قال أدهم "أنت مدرك أن السلاح الذي بيدك سعة خزانة أكبر من المعتاد، لكنه محدود.. سيفرغ عما قريب"

واتجه للنافذة التي تقع خلفهما فضربها بقبضته بقوة لتتكسر ويتناثر زجاجها دون أن يجرح أدهم يده إلا بشكل بسيط، ثم نظر من النافذة ليرى الساحة تكاد تخلو من الحراس وأغلبهم يتجهون لدخل المبنى الأمامي..

سمع أمجد يطلق بعض الرصاص من خلفه، لكنه لم يتوقف وهو يقف على الإفريز متطلعاً للمسافة التي تفصله عن الأرض وهي بعلو طابق واحد، ثم قفز دون تردد ليتجاوز تلك المسافة ويسقط أرضاً متدحرجاً ليخفف من سقوطه، ثم هبّ واقفاً بنشاط واتجه نحو المركبة التي لم تكن بعيدة عنهما.. أسرع أمجد يقفز خلفه وفور أن استقر أرضاً اعتدل ورفع سلاحه نحو الحراس الذين انتبهوا لهما وشهروا أسلحتهم.. فاختباً أمجد خلف صناديق قريبة وبدأ يطلق رصاصات سلاحه على من يراه يحاول الاقتراب من أدهم الذي قفز في المركبة وانحنى فيها ينزع أسلاكها محاولاً تشغيلها.. استغرقه ذلك ما لا يزيد على الدقيقة لكنها كانت طويلة جداً بالنسبة لأمجد الذي شعر بتوتر بالغ لفكرة أن يفرغ خزان سلاحه من الرصاص.. وفور أن سمع صوت المركبة وهي تبدأ العمل أطلق رصاصاته بغزارة على الحراس القريبين ليدفعهم للتراجع ويمنح نفسه فرصة للتقدم للمركبة دون خطر.. وقبل أن يفعل سمع أدهم يصيح "انتبه خلفك.."

نظر خلفه بسرعة ليجد أحد الحراس ينقض عليه محاولاً ضربه بسلاحه، فتفادى أمجد الضربة بعسر وفي المقابل وجه ضربة بمؤخرة سلاحه لرأس الحارس بقوة.. ثم انتزع سلاحه من يده وهو يكيل له ضربة أخرى قبل أن يتركه ويركض بسرعة نحو المركبة..

كان الحراس قد عادوا بعد تراجعهم وأطلقوا عليه رصاصاتهم، فنال منها أمجد رصاصة في كتفه وأخرى خدشت خاصرته قبل أن يقفز في المركبة، وعلى الفور اندفع أدهم بالمركبة بعنف ليتجاوز الساحة والحراس الذين تراجعوا من طريقه وإن أطلقوا رصاصاتهم بغزارة محاولين إيقافه.. لكنه لم يتوقف وهو يندفع نحو البوابة التي بدأ حارسها في إغلاقها، فتجاوزها وطرفي الباب يرتطمان بالمركبة بقوة وإن لم تستطع إيقافها.. تنهد أدهم براحة وهو يقول "لم نحظْ بخسائر بليغة.. إن تجاوزنا عن إصابة كتفك.."

غمغم أمجد مقطباً وهو يمسك سلاحه بقوة "لكننا فشلنا.. ولم ننجُ بعد"

رأيا أمامهما نوراً قادمًا من إحدى الجهات.. كانت إحدى المركبات قادمة باتجاههما من المنجم كما يبدو، فقال أمجد "استعد للمناورة"

اعترض أدهم "وما أدراهم أننا هاربون؟"

غمغم أمجد وهو يرفع سلاحه "سيعلمون.."

وبالفعل، سمعا صوت ارتطام رصاصات بمركبتهم، فزمر أدهم وهو يدير مركبته بقوة ويناور مبتعداً عن مرمى رصاصهم قائلاً "إنهم يحاولون تفجير إطاراتنا.."

صاح أمجد "خبيء رأسك ما استطعت.."

وأطلق رصاصاته بالمثل على المركبة محاولاً تفجير إطارها ليفقدها توازنها.. تبادل الطرفان الطلقات والمركبتان تقتربان من بعضهما بسرعة حثيثة، ثم بدا أن الطرف الآخر قد غير هدفه إذ ارتفعت الرصاصات محاولة أن تصيب أدهم الذي انخفض ما استطاع وهو يقود مركبته بتهور..

أما أمجد فقد حاول بالمثل أن يصيب قائد المركبة الأخرى، أو على الأقل يربكه، وهو يرى المركبة الأخرى تحمل ثلاث حراس على الأقل.. شعر بإحدى الرصاصات تصيب ذراعه وأخرى تتجاوز رأسه بالكاد، ورأوا المركبة الأخرى تواجه مركبتهم بتهور، فمال أدهم بالمقود جانباً بسرعة ليبعد مركبته التي كادت تنقلب وهي تستدير.. في تلك اللحظة، تلقى أمجد رصاصتين في صدره ضربته بقوة فشقق وهو يفقد توازنه وجسده يرتمي خارج المركبة مع ميلها العنيف..

صعق أدهم مع مرأى جسد أمجد الذي قفز خارج المركبة وصاح محاولاً الإمساك به "لا.."

لكنه لم يفلح في التشبث به وهو يرى جسده يرتطم بالأرض ويتدحرج لمسافة قصيرة قبل أن يهدم تماماً.. عاد أدهم يتشبث بالمقود بقوة وهو يجزّ على أسنانه بغيظ، ولما عادت الرصاصات تضرب مركبته أحنى رأسه ما استطاع وهو يتجاوز المركبة الأخرى بسرعة وتهور..

لكن بدا أن الآخرين لن يستسلموا وهم يطلقون رصاصاتهم التي فجّرت الإطار الخلفي لتتحرف المركبة بقوة وهي تزحف بعنف قبل أن ترتطم بصخرة كبيرة نوعاً خففت سرعتها وهي تنقلب جانباً وتزحف لمسافة قصيرة قبل أن تتوقف تماماً..

\*\*\*\*\*